البُعد الإسكاتولوجي في الرسالة الثانية إلى تسالونيكي

الخوري نعمةالله الخوري
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

تعالج الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي موضوعين متمايزين ظاهريًا، ولكنهما في الواقع متلازمان وهما: تهدئة ارتياع المؤمنين الناتج عن الاعتقاد أن يوم الرب قد دنا (٢: ١-١٢)، وتحذير موجّه إلى المؤمنين الذين يعيشون بلا ترتيب، أي بطريقة لا تتطابق مع التقليد الذي تسلّموه من الرسول أثناء إقامته بينهم (٣: ٦-١٢). لا نجد في ٢ تس ترابطًا واضحًا بين هذين الموضوعين، ولكن من الصعب أن ننفي العلاقة الوثيقة القائمة بينهما؛ يبدو أن المؤمنين في تسالونيكي تيقّنوا أنّ يوم الرب أضحى قريبًا، لذلك تركوا أعمالهم ليعيشوا في حالة انتظار وترقّب لمجيء ذلك اليوم. من الواضح ان المشكلة المطروحة في تسالونيكي لها بُعد إسكاتولوجي، لأن المفهوم المغلوط للمجيء الثاني للمسيح هو الذي دفع المؤمنين لكي يعيشوا بلا ترتيب لذلك انبرى بولس يعالج هذه المسألة، فيصحّح النظرة الإسكاتولوجية المغلوطة التي سادت بين المؤمنين مستبدلاً إياها بعرض مفصّل للأحداث السابقة لمجيء يوم الرب.

أولاً: الإسكاتولوجيا الآنية المحقّقة ام الإسكاتولوجيا الأخيرية النهيوية؟

يتمايز موقف بعض التسالونيكيين بشأن مجيء الرب عن موقف الرسول الذي أسّس الكنيسة هناك؛ ففي حين يعتقد هؤلاء بإسكاتولوجيا آنية تعتبر أن مجيء الرب قد حان ودنا، نرى أن الرسول، بالعكس، يدافع في ٢ تس عن إسكاتولوجيا نهيوية تؤكّد أن يوم الرب سيتأخر فترة ملحوظة من الزمن.

أ- الإسكاتولوجيا الآنية المُحقّقة

يبدو أن الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي قد أحدثت بلبلة بين بعض المؤمنين الذين تبنّوا موقفًا مغلوطًا ومفهومًا خاطئًا لتعليم بولس حول مجيء المسيح؛ وبالفعل انتشرت الفكرة القائلة أن يوم الرب قد دنا من رسالة أو نبوءة أو قول منسوب إلى بولس (٢ تس ٢ : ٢)؛ عرفت الكنيسة الأولى أنبياءها الذين كانوا يتنبّأون (١ كور ١٤ : ٣ - ٤، ٢٦ - ٣٠)، ومن المحتمل أن يكون أحد هؤلاء الأنبياء قد شرح مجيء الرب بطريقة توحي أنه قريب جدًّا، وهكذا وقعت البلبلة بعد تعدّد الرسائل.

تخبرنا ٢ تس أن بعض المؤمنين يعيشون في تسالونيكي بلا ترتيب، أي بطريقة لا تتطابق مع التقليد الذي تسلّموه من بولس حين كان بينهم (٣: ٦-١٢)؛ ترك هؤلاء أعمالهم وامتنعوا عن مزاولة أي نشاط يؤمّن لهم لقمة العيش لاعتقادهم أن مجيء المسيح الثاني هو قريب جدًّا، وأضحوا يعيشون على نفقة الجماعة؛ هذا التصرف المبني على إسكاتولوجيا آنية هو، بنظر الرسول، غير سليم، لذلك طلب منهم أن يغيّروا مسار حياتهم، وذكّرهم أنه حين أقام بينهم لم يثقّل على أحد منهم - مع العلم أنه يحقّ له ذلك - بل كان يعمل ليل نهار ليكسب

لقمة العيش، وليعيش "بترتيب"؛ وهكذا أضحى تصرّف الرسول في تسالونيكي مثالاً يجب أن يقتدي به المؤمنون (٣: ٧-٩).

ب - الإسكاتولوجيا النهيوية

يقول الرسول إلى أهل تسالونيكي: "نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه ألاّ تكونوا سريعي التزعزع في رشدكم" (٢: ١)؛ هذا يعني أنّ أهل تسالونيكي، حين سمعوا رسالة أو قولاً أو نبوءة تؤكّد أن يوم الرب قريب، تزعزعوا سريعًا في معتقداتهم، وأضحوا يؤمنون بإسكاتولوجيا آنية؛ لذلك كتب بولس رسالته الثانية إلى هذه الكنيسة عارضًا تعليمه بشكل واضح وموسّع عن مجيء الرب بهدف تصحيح الخطأ المنتشر في هذه الكنيسة، في حين أنه كان قد تطرّق إلى هذه المسألة بشكل عابر في الرسالة الأولى، لأنّ هدفه الأساسي في ١ تس كان يتركّز حول مصير الراقدين في كنيسة تسالونيكي[1].

لن يكون مجيء المسيح قريبًا، بل ستسبقه أحداث معروفة وظاهرة يمكننا أن نشعر بها، وهي الكفر وظهور رجل المعصية؛ هناك عائق يمنع رجل الإلحاد من الظهور، وبعد زوال العائق سيأتي الرب يسوع ويُبيد ذاك المُلحد بنَفَسٍ من فمه. هكذا يؤكّد بولس أنّ يوم الربّ سيتأخّر ويدعو أهل تسالونيكي لكي يتخلّوا عن الفكرة القائلة إنّ يوم الرب قد دنا (٢:٢)، والبرهان على ذلك وجود أحداث سابقة لهذا المجيء، وطالما أن تلك الأحداث لم تظهر، فيجب أن يعلم أهل تسالونيكي أن يوم الرب ليس قريبًا. من الواضح أن مجيء المسيح الثاني في ٢ تس يختلف عن تعليم ١ تس حيث يقول بولس إنّ يوم الرب يأتي كالسارق في الليل (١ تس ٥: ٢)، فلا أحد يستطيع أن يعرف متى سيأتي يوم الرب، لذلك يدعو الرسول في ١ تس إلى اليقظة والسهر لإنتظار يوم الرب؛ غير أنّ الرؤية في ٢ تس تختلف تماماً لأنّ مجيء الرب هو إسكاتولوجي، وستسبقه أحداث معروفة وظاهرة، وهي الكفر وظهور رجل المعصية. تبدو الإسكاتولوجيا إذًا واضحة تمامًا في تعليم الرسول في ٢ تس، وهي في صلب اهتماماته لأنه يركّز عليها تعليمه ويستند إليها ليعرض أفكاره.

ثانيًا: الصور الرؤيوية في خدمة الإسكاتولوجيا

استعمل بولس في ٢ تس ألفاظًا غريبة لا نجدها في رسائل بولس الأخرى، نذكر منها على سبيل المثال: رجل الإلحاد، ابن الهلاك (٢ تس ٢:٣)، العائق، سرّ الإلحاد (٢: ٧)؛ قبل يوم الرب، يجب أن يحدث الكفر والجحود والإرتداد عن الإيمان، ويجب أن يظهر رجل الإلحاد ابن الهلاك الذي يجلس في هيكل الله ويُعلن نفسه إلهًا (٢: ٣-٤). إن ظهور رجل الإلحاد (الأنتيكريست، المناوئ للمسيح) سيكون صورة كاملة عن الكفر، وغايته هي معارضة المسيح، لذلك سيكون ظهوره حلقة في سلسلة أحداث النهاية التي حدّد الله مسيرتها.

تنتمي هذه الألفاظ إلى الأدب الجلياني الرؤيوي المعروف آنذاك؛ في التقليد الجلياني اليهودي، يدلّ الكفر على ضيق آخر الأزمنة، وهذا الاعتقاد يرجع إلى ذكر المحاولة المريعة التي قام بها أنطيوخوس الرابع إبيفانس (١٧٥ - ١٦٤ ق. م.) ليفرض الثقافة الهلّينيّة على سكّان اليهودية، وقد أراد محاربة عبادة إله إسرائيل؛ في

(١) يجد الشراح صعوبة في تحليل ٢ تس ٢: ١ -١٢ حيث يعرض الرسول تعليمه عن يوم الرب الذي سيتأخّر مجيئه، وهو بذلك يعطي تعليمًا مناقضًا ظاهريًا لتعليمه عن نفس الموضوع في ١ تس ٤: ١٣-١٨. هذا التناقض في التعليم بين الرسالتين دفع بعض الشراح إلى الاعتقاد أن الرسالة الثانية كُتِبَت بعد وفاة الرسول على يد أحد تلاميذه الذي أراد تصحيح الخلل الحاصل في تسالونيكي؛ غير أن الذين يدافعون عن صحة نسبة ٢ تس إلى بولس يعتبرون أنْ لا تناقض بين الرسالتين، ويؤكّدون أن الرسول قد دوّن ٢ تس بعد تدوين ١ تس ببضعة أشهر.

ذلك الوقت جحد الكثير من المؤمنين إيمانهم ومات العديدون. تذكّر بولس هذه الأحداث الأليمة الماضية وطبّقها على حياة المؤمنين الحاضرة، لأنه لاحظ الاضطهاد الذي يعاني منه اهل تسالونيكي (١ تس ٢ : ١٤)، وأعلن أن هذا الاضطهاد سيستمرّ إلى حين مجيء الرب.

ثالثا: الإسكاتولوجيا المحققة بين ٢ تس والإزائيين

هناك تقارب واضح بين النظرة الإسكاتولوجية المغلوطة التي يتبنّاها بعض أهل تسالونيكي وبين الأجواء التي يعكسها الخطاب الإسكاتولوجي عند الإزائيين (مت ٢٤؛ مر ١٣؛ لو ٢١)؛ في كلا الموضعين، يتبنّى بعض المؤمنين ظاهريًا نفس المفاهيم، غير أننا نلاحظ تباينًا في ما بينهما.

يحذّر خطاب متّى الإسكاتولوجي من المسحاء الكذبة الذين يوهمون الناس أنهم المسيح حين يصنعون الآيات ليُضلّوا المختارين (مت ٢٤: ١١)؛ تشير هذه التحذيرات فعلاً إلى وجود قوم، في زمن تدوين هذا الخطاب، يضطهدون الجماعة المسيحية ويدّعون أنهم النبي الإسكاتولوجي أو المسيح العائد إلى الأرض، ويؤكّد مرقس أنّ النهاية لم تأتِ بالرغم من ظهور المسحاء الكذبة (مر ١٣:٨). ولكنّ النظرة تختلف في ٢ تس لأنّ بعض الناس يعتقدون هناك أن يوم الرب هو على الأبواب، أو أنه قد تحقّق فعلاً. نلاحظ إذًا أن الخطاب الإسكاتولوجي عند الإزائيين والرسالة الثانية إلى تسالونيكي يعكسان اعتقادات لا تنتمي إلى بيئة واحدة، لأنها تتمايز بين واقع الجماعة التي يشير إليها الخطاب الإسكاتولوجي وبين المؤمنين في تسالونيكي. تتّسم الإسكاتولوجيا بطابع نهيوي عند الإزائيين، في حين أن المؤمنين في تسالونيكي يعتقدون بإسكاتولوجيا آنية محقّقة، معتبرين أن النهاية قد حلّت، وهذا ما دفع بولس إلى تصحيح هذه الرؤية المغلوطة عند مراسليه.

خاتمة

سبّب الإعتقاد بإسكاتولوجيا آنية خللاً في جماعة تسالونيكي التي امتنع بعض أعضائها عن العمل في سبيل كسب لقمة العيش؛ إزاء هذا الواقع يشدّد الرسول، من ناحية، على أن أحداث النهاية لم تأتِ بعد، ويؤكّد، من ناحية أخرى، أنّ العمل والكد هما ضروريان لاستمرارية الجماعة. سعى بولس لكي يتبنّى قرّاؤه مفهومًا واقعيًا للإسكاتولوجيا، فالخلاص النهائي لم يتحقّق بعد والسعادة المنشودة مع المسيح لا تزال بعيدة المنال؛ عليهم العمل في حياة يومية نشيطة مبتعدين عن الحمى الإسكاتولوجية السائدة في أوساطهم. هناك مسافة زمنية ملحوظة تفصلهم عن اللقاء بالمسيح الذي سيظهر ثانية، لذلك ينبغي بناء الجماعة في إطار التعليم الذي وجّهه إليها الرسول، فيعيش المؤمنون باستعداد ويقظة لمواجهة ذاك الحدث الإسكاتولوجي باطمئنان وسلام.